ملوك البترول

السر هنري دترديغ وشركة الدتش رويال

سبق لنا في هذه الفصول ان ذكرنا ثلاثة من ملوك البترول روكفلر الاميركي ودارمي ولورد بيرستد الانكليزيين وسنخص هذا الفصل برجل هولندي يعرف في الاندية المالية بنبوليون البترول او روكفلر اوربا وهو مدير شركة الدتش رويال اكبر شركة بترويل في العالم. وتاريخ ارتقائه انما هو تاريخ اتساع اعمالها وامتداد نفوذها في كل اقطار المعمور

لما تحرر الهولنديون من نير الاسبان في القرن السادس عشر حاول بحارتهم ان يكتشفوا طريقاً بحرياً الى الشرق الاقصى فوصل احدهم كرنيليوس هوتمان الى صومطرى حيث رفع العلم الهولندي وضم اول قطعة ارض من تلك البلاد الى حكومة هولاندا ومن ثم اخذت مستعمرات هولاندا في الشرق الاقصى تتسع وهي تعرف الآن بجزائر الهند الشرقية الهولندية ومنها جاوي وجانب من بورنيو وغرب غينيا الجديدة وجزائر اخرى صغيرة. ومصادر الثروة الطبيعية في تلك الجزائر كثيرة الا ان البترول اعظمها كلها الآن

وكان الهولنديون على اول عهدهم في مستعمراتهم الجديدة لا يعرفون ما فيها من البترول فحولوا انظارهم الى زراعة التبغ والبن. وفي اواخر العقد التاسع من القرن الماضي اكتشف زلكن احد زراع التبغ في صومطرى آثار البترول على مقربة من ارضه فنال امتيازاً من السلطان الحاكم حينئذٍ باستخراج البترول واقنع الحكومة الهولندية ان تمده بالمهندسين فحفروا بئراً خرج منها ٥٠ برميلاً من البترول النقي في ثلاثة ايام ثم صار ينتج منها ٣٠٠ برميل في اليوم. وكانت سبل المواصلات ووسائل النقل صعبة فمهد طريقاً من البئر الى القرب مرفأ لنقل البترول وكانت هذه البئر النواة التي انشئت حولها الشركة الهولندية الملكية (رويال دتش) كما سيجيء. وكان اناس آخرون قد عثروا على البترول في جاوي وبورنيو فانشئت شركات لاستخراجه وتكريره

واهتمت الحكومة الهولندية باستخراج البترول فبعثت برجل الى الولايات المتحدة ليتعلم الاساليب المستعملة فيها لاستخراج البترول وتكريره ولما عاد حاول ان يمنع الحكومة بحفر الآبار على حسابها فاخفق فجعل يشتغل لحسابه

ولما هل هلال القرن العشرين كان استخراج البترول في جزائر الهند الشرقية

الهولندية متأخراً جداً عما كان عليهِ في الولايات المتحدة . لان الشركات كان تعمل منفرد احدها عن الآخر ولم يحاول احد ان يوحّد العمل بينها حتى تتمكن من التوسع فيهِ

وكان في باتافيا يجاوي رجل يدعى كسلر من اصل المانى هولندي يمثل بيتاً من البيوتات التجارية الالمانية استرعى نظرهُ امر البترول فبحث فيهِ ما استطاع وعرف انهُ مستقبلاً عظيماً في التجارة والسياسة فذهب الى لاهاي عاصمة هولندا سنة ١٨٩٠ وانشأ فيها شركة دعاها الشركة الهولندية الملكية لاستخراج البترول من آبار الهند الشرقية . وجعل رأسمالها الاسامي نحو مائة الف جنيه . فاشترت هذه الشركة اسهاز زلكن في سومطرى بثلاثين الف جنيه فكانت صفقتها هذه بدء سلسلة من صفقات مالية تمّ اكثرها على يد دتردنج جعلتها الآن اكبر شركة بترول في العالم ينضوي تحت لوائها ١٢٥ شركة رأسمالها معاً مائتا مليون جنيه

جُعل كسلر مديراً للشركة الجديدة وبدأ للحال ينفذ خطتهُ التي تتلخص في كلمة « الضمّ » يراد بذلك ضمّ كل شركات البترول التي تعمل في جزائر الهند الشرقية حتى يوحّد العمل و يتوسع فيهِ

وكانت السنتان الاوليان من حياة الشركة الهولندية الملكية كثيرتي المصاعب لان جانباً كبيراً من رأس المال انفق على مدّ الانابيب لنقل البترول وانشاء محطات التكرير . ولكن كسلر رأى ان المجال امامهُ مفسحٌ جدًّا فلم تقعدهُ المصاعب عن المضي في عملهِ

كذلك كانت الحال في شركة الدتش رويال لما انضم اليها دتردنج . ذلك ان كسلر اخذ يبحث عن رجل همام يشترك معهُ في العمل فقال لهُ احد معارفهِ ان في باتافيا في بلدة يبتاغ شاباً يدعى دتردنج وهو ذكي همام لهُ مستقبل باهر يجب ان تتعرف بهِ

فارسل يستدعيهِ ووجد انهُ كان مساعداً لمدير شركة تجارية هولاندية . ومن غرائب الاتفاق ان دتردنج كان قد اهتمّ بالبترول واخذ يدرس دقائقهُ . والسبب الذي حملهُ على الاهتمام بهِ انهُ كان يبيع مصابيح البترول في مبناهُ وكان يعتقد ككسلر ان البترول اعظم ما تدور عليهِ التجارة في الشرق الاقصى . فاتفق مع كسلر على ان يشتغل معهُ ناظراً في قسم المبيع وكان ذلك سنة ١٨٩٢ . وللحال ظهرت مقدرتهُ فكان الطبيعة كانت تسوق اليهِ التوفيق في جميع اعمالهِ ولم ينقض زمن طويل عليهِ حتى صار في مقدمة المديرين في قسم البيع . وفي سنة ١٨٩٦ طُلب اليهِ ان يتولى ادارة قسم المبيع في سنغافورة فبدأ في منصبهِ هذا المناظرة القوية مع الشركات المزاحمة لهُ في استخراج البترول وبيعهِ في الشرق الاقصى

واعظمها حينئذٍ شركة الستندرد اويل الاميركية التي مرَّ ذكرها حين الكلام على روكفلر و بترول شل. وكانت هذه الشركة لا تزال في اوج قوتها ونفوذها في اميركا وخارجيا ولها متاجر واسعة في الشرق الاقصى وخصوصاً في الصين . ذلك ان الصينيين كانوا يستعملون للانارة مصباحاً مؤلفاً من فتيلة مغموسة في زيت السمك او زيت غير ونجاء رجال الستندرد اويل ووزعوا على سكان الصين الوفاً من مصابيح البترول باثمان بخسة لكي يمهدوا الطريق لبيع البترول ولذلك دعيت شركة الستندرد اويل « نور آسيا » وصارت كلمة « ماي فوي » وهي اسم هذا الشركة بالصينية من الكلمات المألوفة عند كل صيني حتى انهُ لما قبض بعض قطاع الطرق من الصينيين على سيدة اميركية من اقرباء روكفلر جعلت هذه تصيح « ماي فوي » وهي العبارة الصينية الوحيدة التي تعرفها فاطلق سراحها. ذلك كان مقام الستندرد اويل في الصين حينما عزم دتردنج ان يناظرها هناك . لكن شركة الستندرد كانت قديمة العهد بالعمل ولها نظام دقيق وخطة محكمة تجري عليها فكان من الصعب على دتردنج مناظرتها لولا انهُ رأى ما تكبدهُ من المشاق في نقل البترول التي تبيعهُ في الصين من اميركا وهو على الضد من ذلك كانت منابع البترول الذي في حوزته اقرب الى الصين من بنسلفانيا او كليفورنيا . وكانت تعوزهُ وسائل النقل اللازمة فاتفق مع لورد بيرستد مدير شركة « شل » (انظر مقتطف فبراير الماضي) على نقل بترولهِ من سومطرى وجاوى الى الصين وغيرها من بلدان الشرق

وكانت شركة شل تبيع بترول آل روتشيلد الروسي في الشرق الاقصى فادرك دتردنج ان شركة شل التي يستعمل ناقلاتها لنقل بترولهِ من مزاحميهِ في المبيع، فرأى فائدة الاتحاد فأنشئت شركة جديدة تدعى شركة البترول الاسيوية في ٢٩ يونيو سنة ١٩٠٣ لتتولى بيع البترول في الشرق الاقصى وقسمت اسهمها الى ثلاثة اقسام متساوية نالت شركة دتش رويال احدها وشركة شل القسم الثاني وشركة روتشيلد القسم الثالث . فساعد هذا الاتفاق دتردنج على تجديد المناظرة مع شركة الستندرد اويل لان انضمامهُ هذا اضاف قوةً الى قوتهِ فصار في امكانهِ ان يعتمد على معاضدة بيت روتشيلد المالية ونفوذ الحكومة الانكليزية المعنوي . ولم تمضِ سنة على الاتحاد الجديد حتى ظهر نفوذهُ القوي وصار بترول الدتش شل يباع في جنوب افريقية وشرقها وفي استراليا وزيلندا الجديدة واليابان والفيليبين على ان دتردنج كان يرمي الى ما هو ابعد من ذلك . رأى ان اتحاد هذه الشركات

على المنوال المتقدم ازال كل مناظرة بينها في بيع البترول ونكنهُ لم يزل المزاحمة بينها في انتاجهِ. لذلك اراد ان يوحد بين هذه الشركات في الانتاج والتوزيع فأنشئت شركتان تسيطران على اعمال الشركات المتحدة احداها هولندية دعيت شركة بترول بتافيا وحصر عملها في استخراج البترول وما يتركب منهُ . والثانية انكليزية دعيت شركة البترول الانجلوسكسونية وعهد اليها في نقل البترول وخزنهِ وتوزيعهِ . وجعل رأس مال هاتين الشركتين ٢١ مليون جنيه . وجعلت السيطرة لشركة الرويال دتش. وقد جرى دتردنج في عملهِ هذا على الخطة التي جرى عليها مديرو شركة الستندرد اويل الاميركية وغايتهُ السيطرة على تجارة البترول خارج الولايات المتحدة

ومن الغريب ان لاتحاد شركة الرويال دتش والشل منابع بترول في الولايات المتحدة يستخرج منها ٧٠ الف برميل يومياً. وهكذا تمَّ لدتردنج ان ينشىء هذه السلسلة المحكمة من شركات البترول التي تستخرجهُ وتكررهُ وتنقلهُ وتوزعهُ على احدث الاساليب واحكمها وقد امتد نفوذها الى كل البلدان التي فيها منابع بترول الاَّ بلاد فارس حيث تسيطر شركة الانجلو پرشن تعضدها في ذلك الحكومة الانكليزية التي اشترت جانباً من اسهمها سنة ١٩١٤ لتضمن مقداراً كافياً من البترول لتموين بوارجها

هذا وقد نال دتردنج لقب سر من الحكومة الانكليزية مع انهُ لا يزال محتفظاً بجنسيتهِ الهولندية ومكتبهُ الآن في لندن يديرهُ هذه الاعمال المالية العظيمة

قابلهُ حديثاً احد مكاتبي الصحف فسألهُ هل غايتهُ السيطرة على تجارة البترول في العالم حتى لا تخرج سفينة عباب البحر الاَّ وتشتري جانباً من بترولها منهُ فقال «نحن نتجر بالبترول ومن الطبيعي اننا نريد التوسع في تجارتنا الى اقصى حدٍّ يستطاع . فالاراضي التي نستخرج منها البترول في جزائر الهند الشرقية نقل رويداً رويداً وليس عندنا اراضي بترول غيرها هناك . لذلك نستعمل اموالنا ومعداتنا ونظامنا المحكم في اماكن اخرى وعلماء الجيولوجيا الذي في خدمتنا يطوفون الارض للبحث عن اراضٍ فيها بترول . فاذا اردت بهذا السيطرة فانها غايتنا »